***طبيعة المنهج الاعتزالي***

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

***إعداد / عادل محمد فتحي***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

[***adel.mater@mediu.ws***](mailto:adel.mater@mediu.ws)

**خلاصة هذا البحث فى : طبيعة المنهج الاعتزالي**

**الكلمات الافتتاحيه: واصل، الاوائل، الكتاب**

* ***.المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة طبيعة المنهج الاعتزالي**

* ***.عنوان المقالة***

تأثر واصل بن عطاء بالجهمية والقدرية الأوائل في منهجهم العقلي المطلق، الذي لا يضع اعتبارا لقداسة النص، ويحاول إخضاعه لمفهوم العقل، فما قَبِلَه العقل من نصوص الكتاب والسنة قبلوه، وما استعصى عليهم قبلوه، وحاولوا أن يؤولوه بما يتفق مع عقلهم المحدود، يقول الشيخ محمد عبده: "تفرقت السبل بأتباع واصل، وتناولوا من كتب اليونان ما راق لعقولهم، وظنوا أنه من التقوى أن تؤيَّد العقائد بما أثبته العلم، بدون تفرقة بين ما كان منه راجعًا إلى أوليات العقل، ومما كان سرابًا في نظر الوهم، فخلطوا بمعارف الدين ما لا ينطبق حتى على أصل من أصول النظر".

ومع أن واصلًا قد توفي عام "131" من الهجرة، في نهاية العصر الأموي، إلا أن مذهبه قد نما وترعرع في العصر العباسي، في عصر الانفتاح الفكري، الذي انتقلت فيه الفلسفة والمنطق وترجمت سائر علوم اليونان، وبدأت المذاهب الوثنية تغزوا عقول المسلمين، وراح الفرس، واليهود، والنصارى، يستخدمون الفلسفة والمناهج العقلية في الهجوم على العقائد الإسلامية؛ مما جعل المعتزلة يدرسون أساليب الخصوم ويتقنونها، حتى يتمكنوا من الوقوف أمامها، وهذا أمر يحمد للمعتزلة؛ لأنهم دافعوا عن الإسلام في وقت كان في أشد الحاجة إلى الوقوف أمام هذا الغزو الفكري الذي قام به أعداء الإسلام، وهكذا كان المعتزلة أول من تسلح بالعقل والمنطق في مواجهة أعداء الإسلام.

كما كان هناك سبب آخر أدى إلى تبني هذا المنهج، وهو ظهور الحشوية، والمجسمة، والمشبهة، الذين راحوا يحشون أحاديث رسول الله بالإسرائيليات التي تجسد الإله وتشبهه بمخلوقاته، وقد كان مقاتل بن سليمان، وهو زعيم الحشوية والمفسر المشهور، يزعم أن الله جسم من الأجسام لحم ودم، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه على صورة الإنسان، تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا، وكان منهج الحشوية هو الأخذ بظاهر الآيات فقط دون أدنى تدخل من العقل، بل آمنوا بظاهرها الذي لا يليق بالله ونفوا أن يكون للعقل مدخلًا في التشريع والاجتهاد.

ولا شك أن أصحاب هذا الاتجاه، يمثلون اتجاهًا لا عقليًّا يبتعد عن روح الإسلام ابتعادًا واضحًا، وهذا ما جعل الجهمية يتجهون اتجاهًا مضادًّا، حيث اعتمدوا العقل وحده منهجًا للبحث، ورفضوا النص وأولوه وصرفوه عن ظاهره لحساب العقل، وجاء المعتزلة لكي يسيروا على نفس الدرب، وهكذا لم يكن منهجهم منهجًا طبيعيًّا، بل كان خاضعًا لرد الفعل، وهذا المنهج كان يحمد لهم لو أنهم اكتفوا به في مناقشة أعداء الإسلام والمنحرفين عن العقيدة الإسلامية، ولكنهم تعدوا هذه الحدود، وراحوا يقومون على أساسه كل العقائد الإسلامية، وهنا وقعوا في أخطاء كثيرة.

ففيما يتعلق بموضوعاتٍ نص عليها القرآن الكريم، فمن غير المعقول أن يكون عقلهم وحده هو محط النقاش، بل كان عليهم أن يجمعوا بين العقل والنقل، وأن يسايروا منهج القرآن؛ لأنه منهج العقل الصحيح؛ ولذلك يقول ابن خلدون: "الأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حيث دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلامٌ ينزه الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقه".

وإذا ما نظرنا إلى أفكار المعتزلة بصفة عامة، وجدناهم أكثر الفرق الإسلامية أخذًا بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها، فلا نكاد نقرأ لواحد من أئمتهم، حتى نلمس ظلال الفلسفة اليونانية متمشية في جنبات أفكاره، الفلسفة اليونانية بـ"ميتافيزقيتها"، وجدلها ومنطقها، ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ما تكون عند أبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النظَّام، والجاحظ.

ولمحة أخرى نلمسها في أفكار المعتزلة، وهي تلك الثقافات الكثيرة العريضة في مناهجهم، فقد كانوا حينما يعمدون إلى الجدل يتسلحون بأسلحة مجادليهم وأعدائهم، سواء أكان هؤلاء المجادلون من أبناء الفرق الإسلامية، كالشيعة والخوارج، أو من الزنادقة والدهرية، أو من النصارى واليهود.

ومن الأمثلة الطريفة التي تصور لنا مقدرة المعتزلة على الجدل، ذلك الحوار الذي دار بين أبي الهذيل، وتلميذه إبراهيم النظَّام المعتزلي من ناحية، وصالح بن عبد القدوس، السفسطائي الشاك، المفكر لحقائق الأشياء من ناحية أخرى:

كان صالح بن عبد القدوس، قد مات له ولد، فمضى إليه أبو الهذيل العلاف يرافقه تلميذه النظَّام، وكان صالح حزينًا الحزن كله، جزعًا الجزع كله؛ فقال له أبو الهذيل: "لا أدري لجزعك وجهًا إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال صالح: يا أبا الهذيل، إنما جزعت لأنه لم يقرأ كتاب (الشكوك)، فقال أبو الهذيل: وما كتاب (الشكوك)؟ قال: كتاب وضعته، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه كان.

فلما سمع النظَّام، وهو التلميذ الصغير آنئذ صالحًا يقول هذا القول، أردف موجهًّا الحديث لصالح: فشُكَّ أنت في موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت وإن مات، وشك أيضًا في أنه قرأ الكتاب وإن لم يكن قرأه".

ومهما كان الأمر، فالبرغم من جنوح المعتزلة في كثير من الأحيان إلى الشطح في التفكير والتعبير، وبالرغم من انتهاج الشدة والاستعانة بالحكام والخلفاء في نشر مذهبهم، فقد كانوا يمثلون المدرسة الإسلامية المفكرة؛ فلقد اتفقوا مع الشيعة في كثير من عقائدهم، واتفقوا مع أهل السنة في العبادات، وإن اختلفوا في مسائل علم الكلام، كما أنهم دافعوا عن الإسلام دفاعًا مجيدًا ضد الزنادقة، والمجسمة، والرافضة وغيرهم، ممن لو تركوا وشأنهم لكان خطرهم على المسلمين شديدًا.

إن المعتزلة اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية؛ لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، كما أن نشأة الاعتزال، كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية، والهندية، والعقائد اليهودية، والنصرانية.

وقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء، كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية، كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، هذه المقولات نوجزها مع أصحابها فيما يلي:

مقولة: إن الإنسان حر مختار بشكل مطلق، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه، قالها معبد الجهني، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحيم بن الأشعث، وقد قتله الحجاج عام "ثمانين" هجرية، وكذلك قالها غيلان الدمشقي، في عهد عمر بن عبد العزيز، وقتله هشام بن عبد الملك.

ومقولة: خلق القرآن ونفي الصفات، قالها الجهم بن صفوان، وقد قتله سالم بن أحوز في مرو عام "ثمان وعشرين ومائة" من الهجرة، وممن قال بنفي الصفات أيضًا: الجعد بن درهم، الذي قتله خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة.

وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية؛ وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية عامة، وبالمنطق الصوري الأرسطي خاصة، وما كان الإسلام ضد العقل يومًا ما، ولا خالف العقل منهج الإسلام أيضًا، وأن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفًا لصحيح النقل، وحتى لا يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل، أو أنه يسعى للحجر عليه، ولكن في مجال استعمال العقل، لابد من عدد من الضوابط منها:

1- ألا يتعارض استعمال العقل مع النصوص الصحيحة.

2- ألا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية، التي يعتبر الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

3- أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها، وهو ما يعرف بالأمور التوقيفية، ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر، لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحَكم المطلق في كل الأمور.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**